أم مارية الأثرية
د. آلاء ممدوح محمود
ليدبروا آياته

تلخيص ما مضى من الجزء الأول

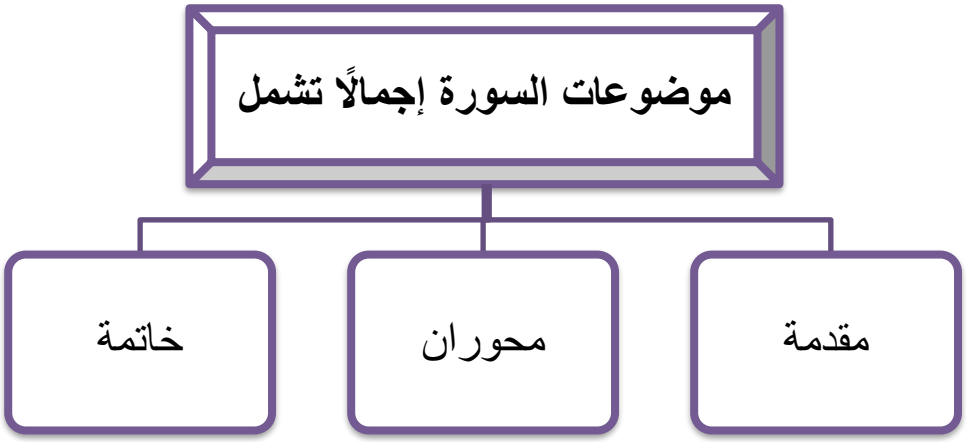

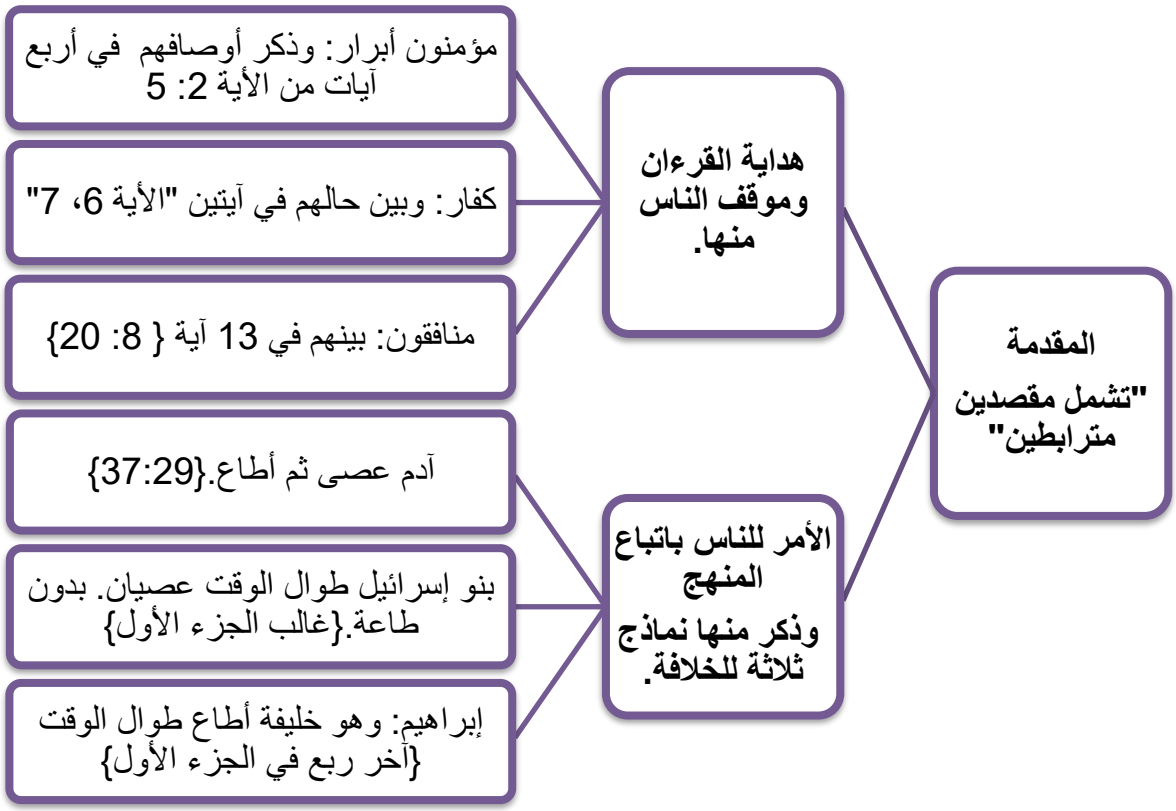

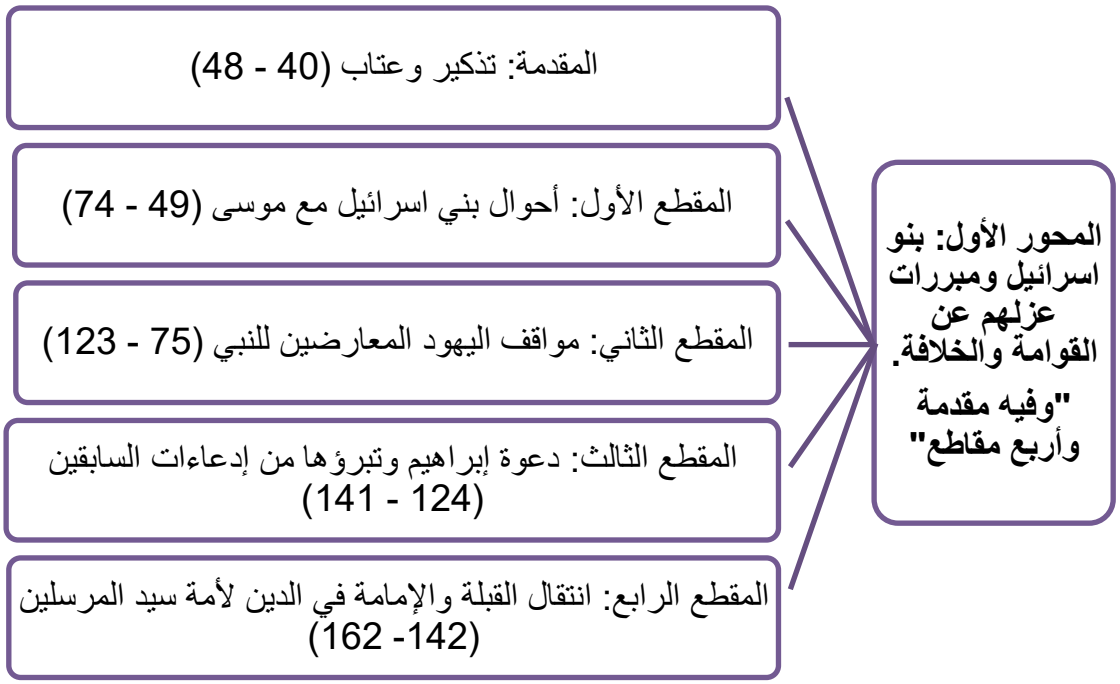
المحور الأول: بنو اسرائيل ومبررات عزلهم عن القوامة والخلافة.
"وفيه مقدمة وأربع مقاطع"
المقدمة: تذكير وعتاب (40 - 48)
المقطع الأول: أحوال بني اسرائيل مع موسى (49 - 74)
المقطع الثاني: مواقف اليهود المعارضين للنبي (75 - 123)
المقطع الثالث: دعوة إبراهيم وتبرؤها من إدعاءات السابقين (124 - 141)
المقطع الرابع: انتقال القبلة والإمامة في الدين لأمة سيد المرسلين (142- 162)

الجزء الثاني

المقطع الرابع والأخير "من المحور الأول":

انتقال القبلة والإمامة في الدين لأمة سيد المرسلين (142- 162)

علاقة هذا المقطع بالمقطع السابق: أن فيه بيان عدم أحقية بني اسرائيل للإمامة وايذان بانتقال الخلافة لأمة الإسلام، وذلك في عدة أمور:

- المقطع السابق فيه ذكر دعوة إبراهيم للنبي، وفي هذا المقطع حصلت استجابة الدعوة.
- المقطع السابق فيه أن إبراهيم وبنيه كانوا على ملة الإسلام، وقد أوصوا ذريتهم بالثبات عليه، ثم ذكرتهم أن بني اسرائيل نكصوا ولم يحملوا الأمانة التي كلفوا بها ولم يتوجهوا إلى قبله إبراهيم، وإنما عادوها وعادوا أهلها.

  وهذا المقطع يبين أمر القبلة ويؤذن بإمامه إبراهيم في البلد الحرام، وأن أمة الإسلام هي أمة الشهود التي استجابت لدعوته.
- بَيَّن المقطع الأول أن من رغب عن ملة إبراهيم فقد سفه نفسه، وذكر في أول آية في هذا المقطع أن اليهود والنصارى هم السفهاء الراغبون عن ملته.

مناسبة هذا المقطع لمحور السورة

مسألة تحويل القبلة لقبلة إبراهيم هي تطبيق عملي لاستجابة دعوة إبراهيم التي دعاها، فبينت بالأدلة أن الخليفة الحق هو من أطاع الله وامتثل للأوامر وابتعد عن النواهي، وهذا يبين مهمة هذه الأمة وأنها الخليفة على الأرض، وهم الشهداء على الناس.

التفسير الإجمالي وترابط الآيات والتدبر

قال تعالى: {سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (142)}

"التفسير الإجمالي"

اشتملت الآية على معجزة، وتسلية، وتطمين قلوب المؤمنين، واعتراض وجوابه، وصفة المعترض، وصفة المسلم لحكم الله دينه.	
المعجزة	{سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ} وهنا أخبر الله النبي بشيء لم يقع أنه سيقع فوقع، فهذا اعجاز واخبار بالغيب.
الإعتراض	• {مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا } أخبر الله بما سيقوله السفهاء أي ضعاف العقول الذين رغبوا عن مله إبراهيم وهم اليهود والنصارى، ومن أشبههم من المعترضين على أحكام الله وشرائعه، حيث أرادوا بث الأراجيف في المجتمع الإسلامي فقالوا على سبيل السخرية والإستهزاء، عند تحويل القبلة من بيت المقدس الى المسجد الحرام: ما حولهم وصرفهم عن قبلتهم؟.
الجواب عليه، وصفة المسلم لله	• { قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} رد الله عليهم وأزال الشبهة بأن لله المشرق والمغرب، فكل الجهات له سبحانه، وأي قبله يأمر عباده بها فعليهم امتثال أمره، فكما صليتم للقبلة الأولى بأمره، صليتم للقبلة الثانية بأمره.
صفة المعترض	قليل العقل، والحلم، والديانة، فلا تبالوا بهم، إذ قد علم مصدر هذا الكلام، فالعاقل لا يبالي باعتراض السفيه، ولا يلقي له ذهنه.

هداية ... وتدبر

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا	لا يعترض على أحكام الله، إلا سفيه جاهل معاند، وأما الرشيد المؤمن العاقل، فيتلقى أحكام ربه بالقبول، والانقياد، والتسليم كما قال تعالى عن المؤمنين: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ}، {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا}. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: {الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- جاءوا بمحارات العقول، ولم يأتوا بمحالات العقول} جاءوا بمحارات، يعني: أمور قد تتوقف بها العقول؛ لأنهم يأتون بأمور من الغيب لا تصل إليها العقول؛ لأن العقول في هذا الإطار المحدود من عالم المادة، ولا تتوصل إلى الغيوب. ولم يأتوا بمُحالات العقول، يعني: لم يأتوا بشيء يُصادم العقل ويُناقضه.
	أخبر الله بما سيكون من المعترضين من اليهود وغيرهم قبل ان يقولوا، لتوطين النفوس على الصبر والاحتمال، فلا يكون ذلك صادمًا للنفوس ومزعجًا لها، بل يكون الجواب مهيئًا، ونتعلم منه وهذا أن نوطن أنفسنا أن الدنيا دار ابتلاء وامتحان، فلابد أن نتهيأ للصبر على الطاعات وعن المعاصي وعلى الأقدار المؤلمة حتى لاتكون صادمة.
	العدو يحتج على عدوه بما يثير نعرته، ويلزمه؛ حتى يبقى على ما هو عليه، لقوله تعالى:{عن قبلتهم}؛ لم يقولوا: عن القبلة كأنهم يقولون: كنتم تتولون ذلك فما الذي صرفكم عنه؟!! وكأنهم قالوا: بالأمس تختارونها، واليوم تنكرونها.
	فيها تسلية النبي والمؤمنين، بأن الذين سيتعرضون على تحويل القبلة هم السفهاء من الناس فكلامهم لايعبأ له.

قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ	ليست كل قضية يجاب عنها بطُرق عقلية وإقناعية وما إلى ذلك، فكل معارض يجاب عليه بالطرق المناسبة في كل مقام جواز تعليل الأحكام الشرعية بمقتضى الربوبية لإسكات الناس حتى لا يحصل منازعة؛ إذا قال أحد: لماذا كذا؟ قلت: الله ربك يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد
	أصل الرد أنه مشروع إذا دعت الحاجة إليه كالشبهات، لكن لا يعني أن يُرد على كل مُجادل ومُبطل. والعلماء تكلموا عن الرد، ومتى يكون الرد، لو كانت الشُبهة قد ذاعت وراجعت وانتشرت فخيف على العامة، فهنا يرد من هو مؤهل للرد وليس كل أحد، ليس كل من هب ودب ، ولابد من مواصفات معنية في الرد، وفي اختيار الحال والوقت والأسلوب. أما إذا كانت الشبهة مغمورة مدفونة فلايتم الرد عليها لأن في الرد ترويج للضلال ونشر للباطل. كذاك الذي بال في بئر زمزم ولما سُأل عن هذا قال: أردت أن أُذكر.
	عموم ملك الله عزّ وجلّ؛ لقوله تعالى: {لله المشرق والمغرب} ؛ فهو المالك سبحانه وتعالى للجهات يُصرِّف إليها العباد كيف يشاء؛ ونحن ليس علينا إلا السمع، والطاعة؛ أينما وجهنا توجهنا
	أن الهداية بيد الله؛ لقوله تعالى: {يهدي من يشاء}
	الثناء على هذه الأمة؛ لأنها التي على صراط مستقيم؛ لأن أول من يدخل في قوله تعالى: {يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم} هؤلاء الذين تولوا عن بيت المقدس إلى الكعبة وحيث هداها الله إلى استقبال بيته الذي هو أول بيت وضع الناس

قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (143)}

"التفسير الإجمالي"

بعد أن ذكر الله هؤلاء السفهاء وما سيقولون، ذكر أهل العدالة وهم من يقابلون هؤلاء من أهل السفه وخِفة العقول.

ثم بين الله السبب الموجب لهداية هذه الأمة مطلقا بجميع أنواع الهداية، ومنة الله عليها:

- الأول: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} وهو أن الله جعل هذه الأمة، وسطا في كل أمور الدين، قال الشيخ السعدي: { وسطا في الأنبياء، بين من غلا فيهم، كالنصارى، وبين من جفاهم، كاليهود، بأن آمنوا بهم كلهم على الوجه اللائق بذلك، ووسطا في الشريعة، لا تشديدات اليهود وآصارهم، ولا تهاون النصارى وفي باب الطهارة والمطاعم، لا كاليهود الذين لا تصح لهم صلاة إلا في بيعهم وكنائسهم، ولا يطهرهم الماء من النجاسات، وقد حرمت عليهم الطيبات، عقوبة لهم، ولا كالنصارى الذين لا ينجسون شيئا، ولا يحرمون شيئا، بل أباحوا ما دب ودرج.

بل طهارتهم أكمل طهارة وأتمها، وأباح الله لهم الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح، وحرم عليهم الخبائث من ذلك، فلهذه الأمة من الدين أكمله، ومن الأخلاق أجلها، ومن الأعمال أفضلها}.

والسبب الثاني: ليكونوا {شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} بسبب عدالتهم وحكمهم بالقسط، يحكمون على الناس من سائر أهل الأديان، ولا يحكم عليهم غيرهم، فهم شهداء على الناس في الدنيا: فما شهدت له هذه الأمة بالقبول، فهو مقبول، وما شهدت له بالرد، فهو مردود، وشهداء على الأمم السابقة في الآخرة بأن الأنبياء بلغوا الرسالة.

فإن شك شاك في فضلها، وطلب مزكيا لها، فهو أكمل الخلق، نبيهم صلى الله عليه وسلم، فلهذا قال تعالى: {وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}.ومن شهادة هذه الأمة على غيرهم، أنه إذا كان يوم القيامة، وسأل الله المرسلين عن تبليغهم، والأمم المكذبة عن ذلك، وأنكروا أن الأنبياء بلغتهم، استشهدت الأنبياء بهذه الأمة، وزكاها نبيها.

ثم أتى التوكيد للمؤمنين أنهم على الحق في أمر القبلة فبين الحكمة من تغييرها {إِلا لِنَعْلَمَ} أي: علما يتعلق به الثواب والعقاب، وإلا فهو تعالى عالم بكل الأمور قبل وجودها، لكنه أراد اختبارهم، وهذا فيه بيان عدل الله أنه لايعاقب أحد بعلمه بل لابد أن يعمل العبد ثم يحاسبه على عمله.
{مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ} ويؤمن به، فيتبعه على كل حال، لأنه عبد مأمور مدبر، ولأنه قد أخبرت الكتب المتقدمة، أنه يستقبل الكعبة
وأما من انقلب على عقبيه، وأعرض عن الحق، واتبع هواه، فإنه يزداد كفرا إلى كفره، وحيرة إلى حيرته.
{وَإِنْ كَانَتْ} أي: صرفك عن قبله بيت المقدس {لَكَبِيرَةٌ} أي: شاقة {إِلا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ} فعرفوا بذلك نعمة الله عليهم، وشكروا، وأقروا له بالإحسان، حيث وجههم إلى هذا البيت العظيم، الذي فضله على سائر بقاع الأرض، وجعل قصده، ركنا من أركان الإسلام، وهادما للذنوب والآثام، فلهذا خف عليهم ذلك، وشق على من سواهم.

- { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ }

ثم بين الله أن مَن مات وكان قد صلى إلى بيت المقدس فلن يضيع الله ثوابهم، فالله شديد الرحمة بعباده. فمن رأفته ورحمته بهم، أن يتم عليهم نعمته التي ابتدأهم بها، وأن ميَّزَ عنهم من دخل في الإيمان بلسانه دون قلبه، وأن امتحنهم امتحانا، زاد به إيمانهم، وارتفعت به درجتهم، وأن وجههم إلى أشرف البيوت، وأجلها.

هداية ... وتدبر

لتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} قدم الشهادة، وفي شهادة النبي أخر الشهادة: {وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ	**في الموضع الأول**: اثبات شهادة هذه الأمة على الأمم، وبيان فضلها فقدمت لذلك. **وفي الثاني**: اختصاص هذه الأمة بشهادة النبي وهذا شرف ليس بعده شرف، النبي هو الذي يشهد عليهم، أما الأمم الأخرى فتشهد عليهم هذه الأمة ولا تشهد عليهم أمة.

شَهِيدًا}	
وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ	أن الله -تبارك وتعالى- يمتحن عباده بالأحكام الشرعية كما يمتحنهم -تبارك وتعالى- بالأحكام القدرية الكونية، فما على العبد إلا أن يُذعن ويُسلم ويستسلم لأحكام الله لا يعترض ويقول: هذا الحكم أنا غير مُقتنع به، هذا الحكم ما استوعبته ولا استطاع عقلي أن يتقبله، فهذا يقال له: وما عقلك! {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ}
	الله يبتلي عباده وهو عليم حكيم، حكم عدل، أحكامه في غاية العدالة، ومبناها على العلم والحكمة، يضع الأمور في مواضعها ويوقعها في مواقعها {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ} [سورة الملك:14] سواء أدركنا هذا أو لم نُدرك حكمته نحن نُدرك أن الذي شرعه حكيم،
	اختار الله مدة للتوجه إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا تمحيصًا للنفوس، يُمحصها من كل رواسب الجاهلية ومن علائقها التي كانت تتعلق بها، ليُمحص النفوس لتكون مُتبعة لأمر الله كانوا في الجاهلية يُعظمون البيت فتحويلهم إلى بيت المقدس هذا بحد ذاته امتحان للنفوس وتنقية لها من مألوفاتها وعاداتها؛ لتكون تابعة لأمر الله.
	وروى الإمام أحمد في مسنده أن مما يحسدنا عليه اليهود القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها؛ فهم يحسدوننا على هذه الخصلة؛ وكذلك على يوم الجمعة، وعلى قولنا خلف الإمام: آمين.
	التقدم حقيقة إنما يكون بالإسلام، وأن الرجعية حقيقة إنما تكون بمخالفة الإسلام؛ لقوله تعالى: {ممن ينقلب على عقبيه} ؛ فإن هذا حقيقة الرجوع على غير هدًى؛ لأن الذي ينقلب على عقبيه لا يبصر ما وراءه؛ فمن قال للمتمسكين بكتاب الله وسنة رسوله رجعيون، قلنا له: بل أنت الرجعي حقيقة؛ لأن الله سمى مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم انقلاباً على العقب؛ ولا

	أبلغ من هذا الرجوع أن الإنسان يرجع على عقبيه رجوعاً أعمى ـــ والعياذ بالله ـــ لا يدري ما وراءه
وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ	أن بعض الأوامر الشرعية أو النواهي شاقة على النفوس لكن ما الذي يهونها؟ الإيمان والهداية وترويض النفس على الطاعة، فبقدر هداية الإنسان بقدر ما يحصل له من الرسوخ والثبات فلا يتضعضع ولا يتزعزع فتذهب عنه هذه المشقة.
	{إلا على الذين هدى الله} ؛ وهذه أعظم منة منَّ الله بها عليه أن هداه للإسلام؛ فيجب أن يشعر بها الإنسان؛ لا يمنّ بدينه على ربه؛ بل يعتقد أن المنة لله عليه، كما قال تعالى: {يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين}
إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ	أن الله لا يُضيع عمل المؤمن ولا يذهب هباءً، وفيه أيضًا إظهار للمنة والرأفة هي رحمة رقيقة ، فالحكم المنسوخ يُلغي العمل بالحكم في المستقبل وليس مُلغيًا لما مضى من أعمال العاملين على وفق ما أمر الله - تبارك وتعالى
	إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ فقدمهم فهذا يدل على شدة تعلق رحمته بهم ولصوقها وعلوقها بهم، فالله أرحم بعباده من الوالدة بولدها